
ميسره الدندراوي
حارس
تأثير البصلة

مشهد افتتاحي

نهار – داخلي

مقر المقدس آمون - مدينة واست

الرابع عشر من خنتي عام ألف وثلاثمائة وثلاث وعشرين قبل الميلاد

- إذن فأنت لا تعتقد أن الملك الشاب مات بسبب المرض.

رفع آمون صوته الجهوري من فوق عرشه الذهبي، ثم نظر حوله وقال دون أن ينظر إلي:

- ما رأيكم يا مجلس المستشارين؟

نظرت باستيت إلي بنظراتها الملتوية الساحرة.

النظرات إلي لا تخفي ولها قديمًا، وإعجابا مغلفًا بالحذر.

- أنت سمعت ما قاله أنبو يا سيدنا..

ثم غمزت بعينيها في الخفاء وقالت:

- ولا أحد يعرف مثل أنبو.

أطلق آمون ضحكة ساخرة عالية مجلجلة، لا تناسب أبدًا خطورة الموقف الذي كنا فيه.

- أراك تضحك يا سيد المجلس .. ولا تدرك خطورة ما نحن

مقبلون عليه.

التفت بكامل وجهي وعلى عيني نظرة لائمة إلى ماعت، الجالسة فوق كرسيها الخشبي، وعلى رأسها تاجها الفضي، المزين بريشة النعامة السوداء.

بينما همست بالكلمات داخل عقلي حتى تسمعها بوضوح:

- توقفي عن قراءة أفكاري يا بنت العم.

- توقف أنت عن كتم أفكارك .. وانطق بالحقيقة.

- فليجلس أنبو المبارك .. وليخبرنا بأسباب ادعائه إذن .. حتى نعرف كيف نحكم في الأمر.

جلست فوق المقعد الحجري، وأرحت عصاي ذات الرأسين إلى جواري، وبجوارها كيسي القماشي الخشن، ثم قلت بهدوء:

- الملك توت قتل ثلاث مرات .. مرة بمحاولة تسميمه البطيئة منذ ستة أشهر .. حتى أن النبتة الملعونة تركت آثارها في أمعائه الداكنة .. ثم مرة أخرى بضربه على رأسه بقطعة معدن صغيرة.. وإتلاف جزء كبير من مخه.. مما جعله يخرف في أواخر أيامه ثم المحاولة الأخيرة التي أنهت حياته برمي حية أسفل فراشه الملكي وعندما حل الليل، شعرت الحية بحرارة الجسم الوحيد حولها فخرجت من تحت الفراش، ولدغته في صدره المحموم الحار، وأنهت حياته للأبد.

ثم صمتت كأني قبر مغلق.

وبعد الصمت، رحت ألهث لالتقط أنفاسي، بينما آمون ينظر إليّ مسندًا ذقنه على قبضة يده، ثم قال في هدوء:

- إذن فلنأت بـ إمست نفرت .. الخائنة التي خانت أمانة خدمة مليكها المقدس.

نظرت له في برود:

- وما علاقة إمست نفرت بالأمر

فأجابني رع من بين أسنانه:

- لأنها خادمته ومربيته .. وهي الوحيدة التي يمكنها أن تدخل جناحه الملكي حاملة في سلة طعامها ثعبانًا مميتًا.

- حية يا عماه .. حية وليست ثعبانًا.

نظر لي في سخط، بينما قالت ماعت معقبة:

- هناك خمسة حراس على الباب .. وثلاث خدام .. وطبيب القصر .. وزوجته .. ووزيره الأول خبرو أي.. وكلهم يمكنهم الدخول إلى جناحه بقطيع من الجاموس وليس فقط بسلة من الخوص تنام بها حية ..

نظرت لها هذه المرة نظرة امتنان وإعجاب، فنظرت إليّ وعقلها يبث لي إشاراته:

- لا تستجب لهم .. إنهم يدبرون أمرًا.

نظرت من جديد إلى آمون ورع، المتجاورين في صدر القاعة، ثم قلت:

- من حاول قتل الملك بإتلاف مخه رجل بالغ .. يملك كتلة عضلية جيدة.. ويده اليسرى تعمل أفضل من يده اليمنى .. فيستحيل أن تكون إست نفرت .. أو أي من حراسه أو زوجته كلهم يستخدمون اليمنى لا اليسرى بينما شخص واحد فقط يستخدم يده اليسرى فقط وهو ممسك بالسيف والحربة شخص يعرفه كل الجالسين في هذه القاعة شخص نسب نفسه لحب حور المنتقم الشريف لكنه خسيس خائن.

ثم درت بوجهي في وجوههم المهتمة المتوترة، وتابعت:

- أما النبتة المسمومة .. فلا يقدر على تجفيفها وإذابتها في طعامه سوى خيميائي ماهر أو طبيب ذكي يعرف كيف يصنع العقاقير.. وهو ما لا يتوفر إلا في شخصين من حاشيته .. أحدهما طبيب القصر .. والثاني تعلم تركيبها على يد تحوتي شخصيًا ..

ثم نظرت إلى عيني آمون مباشرة وتابعت:

- خبرو أي ..

ثم صمت، وكأنني مؤد في فرقة رقص أستعد لأداء حركتي الأخيرة التي ستثير عاصفة التصفيق، وقلت:

- لكن الحية كانت المعضلة .. فمن يقدر على الدخول بحية سامة من هذا النوع الذي يقتل بلا أثر للسم حول الثقوب أو في العيون والعروق.. حتى أنني ظللت طوال الليل أدرس وأقرأ في برديات تحوتي .. ثم تواصلت معه في خلوتي المظلمة.. حتى أشار علي .. ووجدت الإجابة.

ابتسم آمون ابتسامة ساخرة، وقال:

- هل ما زال العجوز حيًا وقادرًا على التواصل .. ظننته قد تعفن في عزلته في خيمينو وأصبح غير قادر على الحراك .. فهو لم يقرب بئر بتاح منذ مائتي عام.

ثم نظر إلى يمينه، ليجد عين حور تشتعل غضبًا في وجهه الفتي.

- يعرف آمون المقدس أن تحوتي يصنع ماء البئر بنفسه في عزلته .. ولا يحتاج إلى بئر بتاح حتى يجدد شبابه .. لكنه لا يفصح عن سره لأحد سوى المباركة إست.

- نعم نعم .. نسيت أنه ساحر مجنون كذلك.

زمجرت ماعت غاضبة لأول مرة في تلك الجلسة الملعونة، وقالت:

- هلا كففت لسانك عن المعظم ثلاثًا أيها الـ .. المقدس!

رفع يده ناحية ماعت، بتعبير مختلط بين الاعتذار واللامبالاة، وأثر الخمر التي عبّها عبًا قبل الجلسة ما زال يظهر على عينيه، فهمست ماعت داخل عقلي الممتلئ:

- هذا المخمور العجوز ينسى أنه يتحدث عن زوجي.

ابتسمت ابتسامة خافتة، ثم نظرت من جديد إلى وجوه آمون ورع وتابعت:

- الحية ليست حية عادية .. إنها حية بشرية .. وكلنايعرف عن من نتحدث .. ومن أين أتت تلك الحية.

نظرت لي باستيت مستنكرة، وقالت في خفوت:

- أنت تقصد .. وادجيت!

كدت أجيبها، إلا أني سمعت صوتًا مبحوحًا ملتويًا، كألف حية تدور حول نفسها يدوي في جنبات القاعة:

- لطالما أعجبت بابن أخي أنبو .. فهو يعرف جيدًا ما يتحدث عنه.

التفت الجميع نحو مصدر الصوت، ليجدوا رجلًا نحيفًا حاد النظرات، يتشح بالسواد من قمة رأسه حتى أطراف أصابعه، وأذناه الطويلتان منتصبتان إلى أعلى كأنهما تنويان مفارقة رأسه.

ست.. القادم من الغرب..

توتر الجو، وانتصب حور واقفًا في غضب، وعينه الباقية تشع نارًا وشرارًا، بينما توترت يد ماعت، وضمت باستيت ساقيها الطويلتين في خوف.

- ماذا جاء بك إلى هنا أيها الملعون.

صرخ بها حور غاضبًا، بينما ابتسم ست ابتسامة ساخرة وقال:

- ألم يخبرك آمون .. ألم تخبره أيها المقدس .. اسمح لي أن أخبرك أنا .. لقد طلبت السماح والعفو من المقدس آمون والمبارك رع .. وقد سمحا لي أن ادخل إلى القاعة المقدسة .. لأنهما يطلبان مشورتي في قضية مقتل الملك الشاب.

ثم رفع يديه إلى جواره في حركة مسرحية وتابع وهو ينحني نصف انحناءة:

- وها أنا ذا .. بين يديكم .. وفي خدمتكم.

نظر حور إلى آمون ورع في غضب، لكنه تفاجئ بنظراتهم الباردة المصوبة نحوه، وبصوت رع الواثق العميق كنور الشمس المتسرب من شقوق الحائط الحجري:

- اجلس يا ابن أخي ولا تتهور .. وتذكر أنك أنت من يحب القواعد ويقدسها .. والقاعدة تقول.

ثم صمت ونظر إلى ماعت، التي رددت في خفوت وهي تتحاشى نظرات الجميع:

- يحق للمجلس المقدس أن يستدعي من يريد .. وقتما يريد .. طالما أقر عضوان فيه ذلك.

أشار رع بأصبعه الذهبي ناحية ماعت وعلى وجهه تلك النظرة الساخرة الواثقة، فلملم حور شتات نفسه المضطربة، وجلس على

عرشه الذهبي بلا حراك.

- ثم إن أوزير نفسه سامحه .. بل وسمح له أن يخرج إلى الصحراء بلا أذى بعد أن قبل بحكم هذا المجلس .. وتنازل لك عن عرش كيمت .. وأنا وآمون المقدس شهدنا على ذلك.

- أشكرك يا سيد الشمس وحامي النهار .. وأشكر سيدنا آمون المقدس في مجده.. ولتسمحوا لي أن أقول كلمتين.

ثم اقترب مني، اقترب حتى صرت أشم رائحة الموت المتعلقة بعباءته السوداء، ورائحة التراب المختلط بروث الماعز والخمر وقال بصوته المبحوح:

- أنا اتفق مع ابن أوزير .. أنبو الحكيم في كل ما قاله .. فمن منا أقدر على قراءة جثث الموتى مثله.. فهو ربيب بنات أوى .. وهو حارس الموتى وحافظ القبور ..

ثم رفع يديه في الهواء، ورفع صوته المبحوح عاليًا وهو يوجه كلامه إلى أمون ورع:

- حورمحب هو من ضرب المسمار في رأس الملك.. يوم أن رفض الملك الشاب أن يقتل زوجته الخائنة .. بعد أن عرف بخيانتها لكيمت وشعبها عندما راسلت ملك الرعاة وخبرو أي هو من زرع له النبتة المسمومة في دوائه وربما هو من ألقى له بالحية أسفل فراشه لأن اتهام ابنتي وادجيت بذلك هو أمر يثير ضحكي أكثر من غضبي.

ثم التفت ناحيتي وهو ينظر لي نظرة شريرة كريهة، وقال:

- فابنتي وادجيت لا تملك نابين لتلدغ بهما يا أنبو .. قد يكون بها الكثير من صفات الحية .. لكنها ليست حية.

كاذب .. كاذب وهو يعرف أنه كاذب، وهم يعرفون أنه كاذب.

فقد جعل الرب الواحد لوادجيت مقدرة التحور إلى حية، واللدغ كالحية، والقتل كالحية.

- إذا كنت تتفق مع أنبو في ذلك يا ربيب الصحاري . فماذا تريد إذن؟

كان حور يبصق الكلمات بصقا، وعينه تشع غضبًا وسخطًا:

- أريد المصلحة يا ابن أخي العزيز الحبيب.

نظر له آمون نظرة استفهامية غير فاهمة لمبتغاه، أو ربما فهم مبتغاه لكنه لم يعِ كيف يسأله السؤال، ربما من أثر الخمر التي أشم رائحتها تفوح من فم آمون المقدس، فقال ست في خيلاء:

ماذا سيفيد شعب كيمت المسكين في الكشف عنقاتلي الملك الشاب .. هل سيجعله هذا يبعث من جديد؟

زمجرت ماعت من جديد وقالت:

- العدل .. سيفيدهم العدل .. وأن يحاكم المجرمون كما أوصانا بتاح وأوزير.

نظر لها نظرة كريهة خبيثة خادعة، وقال:

- العدل في أن تستقر كيمت .. وأن تكون سالمة غانمة منتصرة .. فالأعداء الرعاة على أبواب أرض القمر. وخونسو قد اختفى .. ولم يعد يحمي جبال كيمت الشرقية .. ونحن نحتاج إلى ملك حكيم. يدبر أمور البلاد .. وقائد جند قوي .. يبعد المعتدين عن أرضنا المباركة في الشرق والغرب.

أصدرت ماعت صوتًا شبيهًا بزئير نمرة شرسة، ثم أولته ظهرها وهي تمشي ناحية باب القاعة:

- أنا لن أبقى في هذا المكان .. ولن أسمح أن يميل ميزان العدل .. الميزان الذي وضعه أوزير وبتاح.

صرخ بصوته المبحوح ليخرج صوته شبيهًا بهبوب رياح سوداء خبيثة:

- لو كان بتاح وأوزير معنا الآن .. لكانا وافقا على كلماتي يا بنت رع.

ضرب حور بقبضته الخشنة مسند عرشه الذهبي، وأنفه تتوتر وجسده يشع نورًا أخضر متوهجًا:

- كف لسانك عن أوزير أيها الملعون.

فخفض ست رأسه بأسى مصطنع، وقال:

- أهكذا يخاطب الشرفاء أعمامهم .. أهكذا يرد حورجميل

المشورة!

ثم مشى ناحية حور كأنه يسبح في الهواء، وقال هامسًا في خبث:

- وماذا سيقول الناس عن حور حامي عرش الملك .. سيقولون أنه غافل نائم .. وليس مباركًا مقدسًا كما يدعون ..

هل ما أراه صحيح؟

رحت أفتح عيني وأغلقهما، لكن الوهج حول حور بدأ يخبو، واختفى الغضب من عينه الواحدة، وحل محله نظرة خاوية خانعة، الشيطان الملعون، يستخدم خداعه من جديد على الجميع.

لكنه لن يخدعني أنا.

- لذا يا سادة .. فأنا أرى مباركتكم وموافقتكم على دفن جسد الملك الشاب بسرعة في الوادي الغربي.. ثم زواج خبرو أي من أرملة الملك .. وقيادة حورمحب للجيش نحو الشرق.

حملت عصاي وكيسي القماشي، والتفت ناحية باب القاعة الكبير في هدوء، وبينما أصل إلى الباب، قال آمون غاضبًا:

- إلى أين تظن نفسك ذاهبًا .. أنت من سيحنط جسد الملك الصغير.

فقلت بهدوء دون أن التفت لهم:

- جسد الملك محنط في غرفة التحنيط .. فادفنوه إذا أردتم .. أما

أنا فراحل.

ثم التفت إلى ست، لأرى ابتسامته الواثقة المنتصرة الكريهة، وبريق عينيه السوداوين، فقلت:

- راحل بلا رجعة .. راحل إلى الأبد.

*****

الحلقة الخامسة

تأثير البصلة

المشهد الأول

نهار – داخلي

إدارة البحث الجنائي - القاهرة الجديدة

صباح العاشر من مارس من عام ألفين وثلاثين

جلس مصطفى الحلواني على مكتبه، وأمامه طبق من البسكويت وكوب كبير من الشاي المخلوط بلبن ساخن، وبجوارهم قطع الورق التي تم تجميعها من جوار الجثث الأربعة.

مزيج فريد يليق بالحلواني.

رن هاتفه المحمول بصوت مرتفع صاخب، لكنه من فرط تركيزه في الأوراق أمامه، والبسكويت الذائب في الشاي، لم يجب ولم ينتبه.

- تلت آيات من كتب مقدسة .. والرابعة من كتاب الموتى .. ما قد

كان .. وما يجب أن يكون .. مقصود بيها ايه .. وليه هي ختمة الموضوع!

ثم غمس قطعة بسكويت في قلب كوب الشاي، وعيناه لا تفارقان الجملة الأخيرة، حتى أنه نسي أن يرفعها، فذابت كأي قطعة بسكويت تحترم نفسها في قلب الكوب.

رفع يده ناحية فمه، ليجدها خاوية، فأطلق سبة بذيئةنحو قطعة البسكويت البريئة، وأشاح بيده، لتضرب كوب الشاي وتسقطه بكامل محتوياته فوق تقارير القضية والأوراق المغلفة.

- يا نهار أسود .. ورق القضية .. الله يخرب بيت البسكوت على الشاي!

سحب كومة مناديل ورقية وراح يحاول تجفيف الأوراق، ومسح بقايا الشاي من فوق الأوراق المغلفة، والتي تحمل الآيات والجملة الغريبة.

- الحمد لله إني غلفت الأحراز .. كان زماني بايت في زنزانة بكرة الصبح.

وبينما هو عاكف على تنظيف الأوراق، دق الباب، فتوقف للحظة، وتصلبت أطرافه وتوقف إمدادها بالإشارات من المخ، حتى أنه عجز عن قول كلمة للشخص الذي يدق الباب، ففتح الشخص الباب.

وعلى عتبة الباب، وبينما الحلواني متصلب بكومة مناديل في يده،

وبقايا الشاي فوق الأوراق، دخل محمد حارس إلى الغرفة.

تقدم حارس من الحلواني، وابتسم ابتسامة ساخرة في وجه الحلواني المتصلب بلا حراك:

- مالك كده عامل زي العيل اللي قفشوه بالل هدومه!

- لا ولا حاجة .. أهلًا ومهلًا.

جلس حارس على الكرسي أمام المكتب، ووضع ساقًا فوق ساق وهو يخرج علبة سجائره، ويشعل واحدة.

- أنت هتفضل واقف في الوضعية دي كتير .. ما تقعد يا ابني!

نظر الحلواني إلى يده الممسكة بكومة المناديل، ثم ألقاها على الأرض، وتنحنح وهو يجمع الأوراق الملطخة بتفل الشاي، ثم جلس على المقعد خلف مكتبه.

نظر حارس للأوراق المغلفة من خلف دخان سيجارته.

- الشاي أبو لبن برضه.

- اه ده يعني لا .. يعني حاجة كده.

- هو ايه اللي حاجة كده .. ما علينا .. أنا عايزك في موضوع مهم .. حاجة تخص القضية اللي أنت غرقتها شاي بلبن دي.

اعتدل الحلواني في جلسته، وبدا على وجهه الاهتمام.

- بص يا حلواني .. أنا هكلمك بصراحة..

- أقصر الطرق بين نقطتين الخط المستقيم.

- أنتم شاكين فيا وبتقلبوا ورايا؟

حدق الحلواني فيه بدهشة، بينما ابتسم حارس وهو يحك لهب السيجارة في منفضة السجائر وهو يراقب دخانها.

- وما تسألنيش عرفت منين .. عشان ساعتها هتبقى بتقل مني وبتستهين بيا أوي.

تنحنح الحلواني من جديد، ثم راح يتشاغل بالأوراق أمامه دون أن ينظر إلى حارس.

- لا أنا مش هسألك .. أصلها لعبة مقفولة وقواعدها معروفة.

- طيب وأنت رأيك ايه؟

- في ايه يا محمد باشا؟

أطفأ حارس سيجارته في قلب المنفضة، وقال ساخرًا:

- أنت هتخشلي قافية يا حلواني.

- لا الحقيقة عايز اعرف أنت عايز تعرف رأيي في ايه بالضبط؟

نهض الحلواني أمام نظرات حارس الصامتة، وجلس أمامه على المقعد، ثم مد ساقيه وقال ضاغطا على حروف كلماته:

- عايز تعرف رأيي في إن بصماتك وأثر الدي إن ايه بتاعك منتشرين في مسارح الجرايم الأربعة .. ولا بصماتك اللي أنا لسه

رافعها من على الأحراز قبل ما أغلفها .. ولا في حجج الغياب .. ولا يمكن تكون عايز تعرف رأيي في تاريخك أنت والمدام حماتك مع الأربع ضحايا .. ولا الورق اللي ناقص في ملف خدمتك .. ولا ولا.. فعشان كده بسألك ..

ثم صمت وقرب وجهه من حارس مكملًا في خفوت:

- عايز تعرف رأيي في ايه بالضبط يا محمد باشا؟

- في كل حاجة يا حلواني.

- رأيي يا باشا أن الورق والتقارير اللي اتدلق عليها الشاي أبو لبن دي ممكن تبعتك من هنا للمصطبة عدل .. لو ما كانش عندك ليها تفسير.

أشعل حارس سيجارة أخرى، ثم نفث الدخان في مقف الحجرة كعادته، ثم قال:

- وإن قولتلك إن عندي تفسير لكل حاجة من دول ..

- يبقى تقولي وأكون شاكر ليك جدًا.

- وإذا قولتلك إن مش هينفع أقولهولك دلوقتي.

- يبقى توفر كلامك وتقوله قدام إبراهيم أبو النور .. أنت عارفه بيعزك أوي.

ضحك حارس ضحكة خافتة مكتومة، بينما ابتسم الحلواني، فقال

حارس في هدوء:

- عارف يا مصطفى .. أنا من ساعة ما خدمت في المباحث .. وأنا أسمع عنك وعن مواهبك .. وعن إنك ازاي برغم شكلك المبهدل وكرشك المدلدل والبقسماط اللي أنت بتقرقضه في مسرح الجريمة .. لكنك فنان فعلًا .. وبتعرف ترسم مسار الأحداث بنسبة ٩٠ في المية صح.

- ده مديح أكتر مما أستحقه والله.

دفن حارس سيجارته في المنفضة من جديد، وقال متابعًا:

- عشان كده أنا هحكيلك على شوية حاجات .. بس الحاجات دي مش تفسيرات .. تقدر تسميها .. تسميها...

- هسميها أي حاجة يا باشا .. تفسيرات .. إرهاصات .. مكسرات .. بس أفهم .. أنا محتاج أفهم لأني مش مصدق .. مش مصدق إن أنت ممكن تكون الشخص اللي بيحاول الخواجة سميث يثبت إنه هو.

ابتسم حارس من جديد، وعاد بظهره على المقعد، وهو ينظر إلى الحلواني وكأنه يتفحصه، ثم هرش أرنبة أنفه وقال:

- مايكل سميث ده قصة تانية .. بس مش مكانها هنا.

- القضية دي كلها قصص .. وأنا محتاج أسمعها كلها.

- كله بوقته يا حلواني .. خلينا في أول قصة دلوقتي.

ثم نظر حوله كأنه يبحث عن شيء ما ثم تابع:

- مفيش شاي هنا ولا ايه؟

- لا طبعًا في كل حاجة.

ثم صاح الحلواني رافعًا صوته:

- هات شاي سكر برة يا ابني .. وهاتلي شاي بحليب سكر زيادة.

ثم اعتدل في جلسته قائلًا في هدوء:

- ها يا محمد باشا .. أنا كلي آذان صاغية.

* * * * *

المشهد الثاني

ليل - داخلي

مكتب موقع الحقيقة الإخباري - مصر الجديدة

مساء الرابع عشر من مارس من عام ألفين وثلاثين

جلست سمر تضرب بأصابعها فوق لوحة مفاتيح ذلك الكمبيوتر المحمول، ثم تنظر إلى الشاشة لتجد حروفًا لم تكتب من الأساس في وسط الكلمات، فتطلق سبة عالية وتعيد كتابة كل شيء وهي تضغط بأصابعها بقوة فوق اللوحة.

- ايه يا سمر .. أنتِ بتبعتِ تلغراف ولا ايه؟

صوت ماهر الرفاعي المزعج يدوي عبر الغرفة الصغيرة التي تحتلها هي وزميلة لها لا تظهر أبدًا في المكتب:

- لا يا ريس .. ده أنا بجاهد مع اللابتوب ده .. أعتقدإنه ده اللابتوب بتاعك أيام ما كنت صحفي على قد حالك زينا.

نظر لها ماهر نظرة مستنكرة:

- لابتوب .. ده أنتم مرفهين أوي يا سمر .. ده أنا أيامما كنت صحفي شاب زيك كده .. كنت بكتب على ورق لحمة .. بقلم فرنساوي مكسور وملزوق ببلاستر جروح .. وأقعد أكتب في التقرير من دول يومين بليلة .. وبعدين أقعد أراجعه لغويًا قبل ما أسلمه لمدير التحرير .. حاكم أنتِ عارفاني بحب اللغة العربية أوي.

كادت تخبره أنه «هجاص» بالتعبير العامي الصريح، وأنه لا يقدر على كتابة كلمتين في ورقة معسل حتى، لكنها ابتلعت كلماتها احترامًا للرجل الذي هو خالها قبل أن يكون مديرها، وقالت وعلى وجهها ابتسامة منهكة:

- طب ما تشوفنا بقرشين كده من الإيرادات التوزيع والإعلانات بتاعة الموقع .. أهو نغير اللاب ده بحتة مستعملة فيها الرمق.. بدل ما ضوافري اتكسرت من كتر الدق فوق الزراير.

- منين يا حسرة .. ده إيرادات الإعلانات يا دوب بتصرف عليكم .. أنتِ ناسية إننا وقفنا العدد الأسبوعي .. لضعف إيرادات التوزيع الورقي .. حتى من ساعتها وأنا حاسس إن الشغل ما بقاش فيه

بركة.

- ما تدخلنيش في حواري ومدقات يا خالو .. قصدي يا ريس .. أنا بقولك ضوافري بتتكسر كل يوم من كتر الكتابة .. وأنا صارفة على ضوافري دي كتير.

نظر لها نظرة نارية غاضبة، حتى تخيلت أنه سيبخ دخوعشامن فتحتي أنفه، ثم قال:

- بقولك ايه يا سمر .. ضوافرك دي تمن بسيط يا ماما عشان المجد الصحفي .. وخلي بالك كويس.. أنا صابر عليك بس عشان أنت بنت أختي الله يرحمها .. وعشان أنت شغالة على تحقيق سفاح القلوب ده .. لكن يكون في معلومك .. لو التحقيق ده ما بلبلش الرأي العام وهز المجتمع.. ورفع المشاهدات على الموقع.. لأكون مبيتك في بيتكم بلا عمل ولا مرتب .. وخلي بالك كويس.

ثم أولاها ظهره وهو يكمل جملته المأثورة:

- في مشاهدات هتقبضي .. مفيش مشاهدات .. هتشحتي.

ثم همّ بالخروج من الغرفة، لكنه توقف فجأة وكأنه تذكر شيئًا ما، وعاد والتفت نحوها قائلًا:

- بقولك ايه يا سمر .. كنت عايز آجي ازور الأستاذ محمود بكرة .. كنت عايزه في استشارة قانونية.

- مجانية طبعا.

- طبعا .. هو يعني معقول هياخد فلوس من أخو المرحومة مراته .. ألف رحمة ونور تنزل عليها.

ولت وجهها ناحية الشاشة، وراحت تحاول التأكد من موضع النقاط فوق أحد الحروف، وكأنها أبو الأسود الدؤلي في عزه، وقالت دون أن تنظر إليه:

- الأستاذ محمود غنيم مش فاضي بكرة .. عنده سفرية .. ده حتى خلاني أطلبله الخدمة المخصوصة .. عشان هيروح راكب عربية بالكرسي مش بالعكاز.

لم يبد أي تأثير على وجه ماهر عند ذكرها الكرسي المتحرك، الذي يستخدمه والدها منذ عشر سنوات.

لم يبد نظرات الشفقة أو يتصنع أي محاولات بائسة على هيئة كلمات أو تشجيع أو مواساة، بل قال في بساطة:

- سفرية لفين في البرد ده .. ده الواحد هاين عليها يضرب الكلسون ويشتغل من تحت البطانية.

تجاهلت ملاحظته عن ملابسه الداخلية الشتوية، وراحت تفكر في سبب السفرية الحقيقي، والذي قرره بعد أن نقلت له رسالة محمد حارس المشفرة الغريبة، لكنها أراحت عقلها المنهك بالفعل، وقالت في هدوء :

- سفرية لمسقط رأسه .. عودة للجذور .. للمحلة الكبرى.

المشهد الثالث

نهار - خارجي

شارع العباسي - المحلة الكبرى

ظهر الخامس عشر من مارس عام ألفين وثلاثين

انحرفت سيارة الخدمة الخاصة من ميدان الشون بالمحلة، ثم دخلت عابرة أسفل الكوبري إلى شارع جانبي صغير ومنه مباشرة إلى شارع العباسي، أكثر شوارع العالم ازدحامًا الآن بالنسبة للمحامي العجوز، الأستاذ محمود غنيم.

- الشارع ده ماله بقى زحمة كده ليه؟

يقولها الأستاذ محمود، الجالس فوق مقعده الكهربائي المخصص، في الفراغ الخلفي للسيارة الخاصة، فقال السائق الشاب وهو ينظر إلى الطريق حوله:

- ده كده راق بعد ما شالوا منه السوق يا بيه .. ده أنت ما كنتش تعرف تمشي فيه من الزحمة.

فابتسم محمود وقال في هدوء

- أنا كده كده مش هعرف أمشي يا ابني.

صدمت كلماته السائق على ما يبدو، فصمت الأخير وراح يتبع إشارات جوجل الصادرة من هاتفه المحمول، المعلق بمقبض بلاستيكي بجوار الراديو، ثم صدرت تلك الإشارة التي تخبره أنهم

وصلوا.

أوقف السيارة، ونزل منها سريعًا وهو يساوي ثيابهالمكرمشة من أثر السفر وفتح الباب الخلفي، ثم سحب ذلك المنحدر المعدني، وأزاح جسده الضئيل من الطريق، ليهبط محمود بمقعده الكهربائي على الأسفلت البارد، وهو يتشمم الهواء الجاف حوله:

- كل حاجة اتغيرت .. بس الهوا هو هو.

ابتسم السائق المجهد مجاملًا، وهو يشم رائحة المياه الملقاة على الأرض أمام ذلك المقهى، والمختلطة بالأتربة ورائحة قلي الفلافل في مطعم قريب، وقال في عملية:

- حضرتك تحب أستناك؟

- لا ارجع أنت القاهرة .. أنا بايت هنا النهاردة .. وبكرة في نفس المعاد تجيلي هنا.

أومأ السائق الشاب برأسه مطيعًا، ثم هرول ناحية باب السائق، وقفز فوق المقعد، وهو يتحرك في هدوء مبتعدًا وسط الزحام.

وبعد أن غاب في الزحام، نظر محمود إلى المقهى أمامه، ومن خلفه ظهرت وجهته التي سافر لأجلها.

منزل عائلة غنيم القديم، الجاثم ككابوس قديم من عصور لم تكن تعرف الكهرباء المنتظمة، ولا الثلاجات التي تبرد مياه الشرب.

وهناك، فوق مقعد خشبي أمام طاولة معدنية صغيرة، يجلس الحاج

بركات، وكأنه جالس هناك منذ الأبد.

تقدم محمود ناحيته بالكرسي، وهو يوجه عصا القيادة الصغيرة ليتفادى قطة ضالة نامت أمام المقعد لتنعم ببعض الشمس المشرقة.

- ازيك يا حاج بركات.

رفع الرجل المسن رأسه في هدوء، ثم ضاقت عيناه المنهكتان من خلف عويناتٍ تشبه قاع كوب شاي مثل الذي يمسكه في يده، ثم علت وجهه المتغضن ابتسامة مشرقة شكلت تجاعيد شبيهة بأخاديد صحاري المكسيك، وقال في ترحاب:

- الأستاذ محمود غنيم .. يا أهلًا ومهلًا.

اقترب محمود من الطاولة، وعدل من وضع الكرسي حتى يبقى أمام الرجل العجوز، وقريبًا منه بما فيه الكفاية كي يسمعه بوضوح بلا أن يرفع صوته:

- بركة إنك بخير يا راجل يا عجوز.

- زي ما قلت يا ابني .. عجوز .. بقالي كتير عجوز ..

- ربنا يديك الصحة ويطول في عمرك يا رب.

ضحك ضحكة مجلجلة جعلته يسعل كأن صدره صندوق مليء بالخرز المعدني، وقال:

- يطول في عمري فين تاني .. طب أنت عارف يامحمود .. أنا النهاردة في صلاة الجمعة كلمت ربنا.. وقولتله يا رب .. مش كفاية

عليا كده .. نظري ضعف .. ورجلي مش شايلاني .. وسمعي تقل .. وجالي السكر والقلب .. طب ده أنا حتى جاتلي الفرة بتاعت الفيروس إياه من عشر سنين.

- قصدك الكورونا.

- هو المدعوق ده .. وطلعت منه سليم والله .. بس خلاص .. تعبت .. تعبت يا ابني وعايز أرتاح.

ربت محمود على ركبة الرجل البارزة من أسفل جلبابه الصوفي:

- محدش عارف الخير فين يا حاج بركات.

صمت بركات ولم يرد، ثم رشف رشفة أخرى من كوب الشاي الذي أوشك أن يصل إلى تفله، ثم صاح بصوت منهك لا يكاد يخرج من حنجرته:

- هات شاي للأستاذ يا مرعي.

- قهوة .. قهوة سادة الله يكرمك.

- هات قهوة سادة للأستاذ يا مرعي .. وهات الشاي ليا أنا,

ثم التفت من جديد ناحية محمود وقال:

- بس أنت ما تآخذنيش يا ابني .. ايه اللي فكرك بينا بعد الزمن ده كله .. ده أنت بقالك يجي عشر سنين ما عتبتش المحلة .. من أيام الله يرحمها مراتك ما ...

قاطعه محمود بوجه عابس:

- الله يرحمها ويرحم الجميع .. نشرب بس القهوة وهقولك على كل حاجة .. المهم قولي ..

ثم قرب رأسه من أذن العجوز وقال:

- مفتاح البيت لسه معاك؟

- أومال .. دي أمانة يا أستاذ .. وبركات يعرف يحافظ على الأمانة كويس.

ثم مد يده داخل جلبابه، وأخرج مجموعة مفاتيح مربوطة في خيط حول رقبته المتغضنة، ثم فك العقدة ليحل الخيط الثقيل، ويناول الحلقة لمحمود قائلًا:

- ده مفتاح البيت ومفتاح الصندرة ومفتاح البدروم ..

- الله يكرمك يا حاج بركات .. ما نتحرمش منك.

مال بركات برأسه حتى كاد يصدم جبهته بجبهة محمود وقال:

- بس ما تآخذنيش يعني .. أنت هتخش البيت ازاي وأنت يعني .. ما تآخذنيش.

ثم أشار بطرف أصبعه إلى الكرسي المتحرك، فابتسم محمود ابتسامة عريضة:

- قصدك عشان عاجز يعني .. لا ما تقلقش ما أنا معايا واحد حبيبي

زيك كده هيساعدني.

- هو فين ده يا ابني .. ما شوفتوش معاك يعني.

ابتسم محمود ابتسامة غامضة، لو رآها الحاج بركات لشعر بالقلق منه ومن مساعده المرتقب، وقال:

- زمانه على وصول .. زمانه على وصول.

* * * * *

المشهد الرابع

نهار - داخلي

مكتب وزير الداخلية - القاهرة الجديدة

صباح الخامس عشر من مارس عام ألفين وثلاثين

جلس مايكل سميث واضعًا ساقًا فوق ساق على الأريكة الجلدية الوثيرة في مكتب اللواء توفيق إسماعيل، وراح ينفث دخان سيجارة كنت طويلة في الهواء أمامه، بينما توفيق ينظر إلى الأوراق التي وضعها سميث على المكتب منذ لحظات.

وبعد خمس سجائر وكوب كبير من القهوة، رفع توفيق إسماعيل عينيه المنهكتين، وخلع عوينات القراءة -التي أصبح يرتديها مؤخرًا- وقال وهو يفرك عينيه:

- جميل .. وايه المطلوب بقى؟

علت الدهشة وجه مايكل سميث للحظات، لكنه أخفاها خلف قناعه البارد من جديد وقال:

- يعني ايه يا سيادة الوزير .. أنا مقدم لك قرائن كاملة في الريبورت ده .. وكل أصابع الاتهام رايحة ناحية شخص واحد بس .. محمد حارس جاد المولى.

- العقيد محمد حارس جاد المولى ..

ثم رفع سبابته ناحية سميث وكأنه يحذره متابعًا:

- ما تنساش ده .. العقيد محمد حارس .. الضابط المشرف على القضية يا مستر سميث.. ورئيس مباحث القاهرة الجديدة اللي حصلت فيها الأربع جرايم .. يعني ببساطة كل اللي في الورق ده ممكن يكون صدفة .. وتواجد الدي إن ايه بتاعه هو وتحليل الكربون بتاعكم ده .. مش دليل على إدانته.

- طيب أنا معاك .. وبالنسبة لحجج الغياب؟؟

ابتسم توفيق ساخرًا وقال:

- هو كان المطلوب منه يدبر حجج غياب صريحة في وقت الجرايم ليه .. أنا شخصيًا محدش بيبقى عارف أنا موجود فين على طول إلا مراتي وبس.

ثم عض فلتر سيجارته وهو يضحك ضحكة مكتومة على دعابته السخيفة، بينما لم تتغير تعبيرات وجه سميث الباردة، وقال وعيناه

الرماديتان تشعان ببريق غامض:

- طيب وسبب تواجد الدي إن ايه بتاعه في مكان أول جريمة .. الجريمة اللي حصلت قبل ما أنت تكلفه بالتحقيق في القضية .. واللي لقوها في مكان غريب جدًا .. لقوها على الورقة اللي حطها السفاح المختل ده جنب الجثة .. وكتب عليها بدم الضحية نفسها.

صمت توفيق، وتصلبت السيجارة قليلًا على شفتيه، ثم نظر إلى الأوراق من جديد، وراح يقلب فيها وهو يعض على فيلتر سيجارته، حتى وصل إلى تلك الورقة المشئومة، والتي تحمل تقريرًا عن تحليل عينة الحمض النووي، فرفعها أمام عينيه وهو يرتدي عوينات القراءة الصغيرة من جديد.

- ما تتعبش نفسك يا معالي الوزير .. اسمح لي أقرالك اللي فيها.

ثم أطفأ سيجارته الطويلة، وعقد كفيه فوق ركبته وقال:

- عينة إيجابية .. مكان تجميع العينة .. منزل الدكتور بدر الدين علي .. من فوق الجثة ومن فوق الورقة الموجودة بجوار الجثة .. ومن على المقبض الإلكتروني لباب غرفة النوم مكان تواجد الجثة .. أعد التقرير .. مصطفى الحلواني .. خبير أول أدلة جنائية.

ثم صمت وهو يبتسم ساخرًا وتابع:

- مش ده مسيو بوارو بتاعكم.

رفع توفيق عينيه ببطء شديد ناحية سميث، وخلع عوينات القراءة،

وراح يضم أذرعها البلاستيكية في هدوء، ثم نظر إلى سميث بعينين منهكتين، فنهض الأخير وتقدم من المكتب، وجلس على المقعد المقابل له وهو يقول هامسًا:

- ودلوقتي ايه رأيك يا معالي الوزير؟

نظر توفيق ناحيته، وعيناه تتدافع منهما شرارات الغضب والإنكار:

- برضه أنا عند رأيي .. مفيش قرينة ثابتة لغاية دلوقتي .. واحنا دولة قانون يا مستر سميث .. يعني أنا ما أقدرش أقبض على مشتبه فيه في قضية حساسة زي دي من غير قرينة ثابتة .. ما بالك لو كان ضابط شرطة .. الدنيا هتقوم ومش هتقعد.

أخرج سميث علبة سجائره من جيب معطفه، أشعل سيجارة طويلة جديدة:

- معالي الوزير خايف من السوشيال ميديا والصحافة الإلكترونية.

- مش بس السوشيال ميديا ولا الصحافة الإلكترونية .. سمعة الحكومة اللي الناس في الشارع هيمضغوا فيها ليل ونهار .. اعتبارات كتير وحاجات كتير أوي ممكن أنت ما تكونش عارف عنها حاجة..

- اللي أعرفه يا معالي الوزير إن قدامك طن من القرائن والأدلة .. وأنت مش عايز تاخد فيها خطوة واحدة .. وده بالتأكيد لا هيعجب معالي رئيس الوزرا و.. حكومة جلالة الملك.

ابتسم توفيق ابتسامة ساخرة، وعاد بظهره للوراء ليريحه على المقعد الجلدي الوثير ثم قال:

- ويا ترى لو كانت الجرايم ده على أرض حكومة جلالة الملك .. وأنت رحت لرئيسك المباشر بالورق المهلهل ده .. هيسمع كلامك ويقبض على المشتبه فيه .. وفرضًا إنه سمع كلامك.. هيخرج منها في جلسة ربع ساعة قدام هيئة المحلفين الموقرة .. ومن غير ما حد يخدشه.. ومش بعيد يطلب منكم تعويض.

ثم نظر إلى سميث نظرة صارمة من عينيه الضيقتين، فقال سميث معقبا:

- الوضع هنا مختلف .. وأنا ....

- ششششششش!

نظر سميث إلى توفيق في استنكار فتابع توفيق بلا اهتمام بتعبيره المستنكر:

- بص يا مستر سميث .. أنت جاي هنا عشان تشارك في التحقيق «بفعالية» زي ما قولت.. وأنا سمحت بده .. ووفرتلك كل المساعدات اللي أنت عايزها .. ولغاية دلوقتي كل اللي بسمعه منك هو تكهنات .. وخيالات .. وخيوط مقطعة مفيش حاجة منها موصلة لأي هدف .. أنا ما أنكرش إنك بتبذل مجهود وبتحاول .. بس ماشي غلط .. وعشان كده أنا هقعد معاك صفقة أخيرة.

نفث سميث دخان سيجارته وقال في هدوء:

- صفقة ايه؟

- قدامك شهر من دلوقتي .. تتعاون فيه بشكل كامل وغير مشروط مع فريق البحث بتاعنا.. وتستغل الموارد غير المحدودة اللي منحتهالك الوزارة في إنك توصل للقاتل الحقيقي .. بدل مجرد تركيزك على تقييف الأدلة على محمد حارس.. يا إما أقسم بشرفي لأكون أنا بنفسي اللي باعت المذكرة لحكومة جلالة الملك .. وطالب استبدالك بحد أكتر تعاونًا ومصداقية .. مفهوم كلامي يا مستر سميث؟

دفن سميث سيجارته في المنفضة في هدوء، ثم ابتسم ابتسامة صفراء باهتة:

- مفهوم يا .. معالي الوزير

ثم نهض مغلقًا أزرار معطفه الأسود الطويل، ووضع قبعته على رأسه، ولمس طرفها قائلًا:

- بعد إذنك .. هروح أنا أتعاون بشكل غير مشروط.

- اتفضل .. ربنا يوفقك.

لمس طرف قبعته محييًا من جديد، ثم غادر الغرفة بخطوات واسعة، وما أن اغلق الباب، حتى مد توفيق يده إلى الهاتف الصغير الموضوع بجوار الهاتف الداخلي، ورفع السماعة وهو يحبس أنفاسه

المتلاحقة قائلًا:

- عايز خط متأمن لمكتب رئيس الوزرا .. مع الريس .. ممم .. طيب خلي السكرتارية تبلغه إن الموضوع مهم جدًا جدًا .. موضوع ايه ..

ثم صمت للحظات حتى توقف الهواء في الغرفة كلها، وقال متابعًا:

- محمد حارس .. محمد حارس المصري.

*****

المشهد الخامس

نهار - داخلي

منزل عائلة غنيم بشارع العباسي - المحلة الكبرى

مساء الخامس عشر من مارس عام ألفين وثلاثين

اقترب محمود غنيم من باب المنزل الجاثم كالكابوس خلف شارع العباسي، بينما يمشي مسعد خلفه في حذاءه الرياضي المطاطي، حتى أصبحا يقفان أمام الباب الخشبي العملاق.

نظر مسعد إلى الباب وقال هامسًا:

- بيت ناس قوادم صحيح.

- بيت ملعون وكله شر.

نظر مسعد إلى وجه الأستاذ محمود، ليجد علامات الكراهية والسخط على وجهه الطيب الحليق، فقال من جديد:

- أنت بتكره البيت ده أوي يا أستاذ.

- ما شفتش فيه إلا اللعنات والهم والحزن يا مسعد ..وبرغم إن البيتين في ظهر بعض .. لكن بيت جدتي الله يرحمها كان جنة ربنا على الأرض.

- الله يرحم الجميع.

ثم فرك مسعد كفيه وقال في عملية:

- عايزني أخش البدروم الأول ولا الصندرة يا أستاذ؟

- البدروم يا مسعد .. ده المكان اللي قالي عليه المرسال.

ثم ناول مجموعة المفاتيح لمسعد، فنظر لها في هدوء، ثم خطا أول خطواته على سلم المنزل:

- استعنا على الشقا بالله.

وبينما يفتح مسعد باب المنزل الصغير المكون من طابقين ليس إلا، راح محمود غنيم يحدق في النوافذ الخشبية التي كساها التراب وأكلت الرطوبة من طلاء أخشابها، وإلى الطيور التي تنام في أعشاش نصبتها في كل شق من شقوق الحجر الكبير الذي بني به المنزل، ثم نظر من جديد إلى الباب الخشبي وهو يلقى بنظرة عبرة الصالة المضاءة بضوء كشاف مسعد:

- الحمد لله إني بقيت عاجز.

ثم أغمض عينيه حتى لا تقعا على أي شيء قد يراه في الصالة.

لكن كل شيء الآن يجري أمام عينيه المغلقتين كشريط سينما قديم.

صوت جده محمود، الطبيب الذي جعله يكره الطب كله،ويصمم على أن يختار المسار الأدبي في الثانوية العامة، حتى لا يجبره أحدهم على دخول كلية الطب.

صوت جده يرن في جنبات عقله:

- ولد يا محمود .. أنت قاعد بتعمل ايه عندك؟

يتذكر يومها.

دخل مكتب جده على أطراف أصابعه، كأي طفل شقي بائس في عمر العاشرة، يحاول أن يستكشف العالم الذي يختفي خلف الباب الخشبي المغلق، الذي يغلقه جده بمفتاح كبير كلما رحل عن المنزل لأيام لا يعلم إلا الله طولها من قصرها.

دخل المكتب، وراح يمشي في ظل الضوء القادم من الصالة عبر الباب الموارب، حتى وصل إلى المكتب نفسه.

وفوق المكتب الخشبي العملاق، وخلف ظهره مكتبة خشبية عملاقة تملأ الحائط بأكمله، وتمتلئ بكتب لا يقوى على قراءة اسم واحد منها، رأى مظروفًا بنيًا كبيرًا على سطح المكتب، وقد كتب

عليه كلمات بحروف غير عربية، لا يعرف نطقها، لكنه عرف لاحقًا عندما كبر أنها اللاتينية.

ما زال يتذكر رسم الكلمات حتى الآن

XXX MUTANTES

يومها أمسك بالظرف الكبير ثم أخرج الأوراق منه، وبدأ يحاول قراءة الكلمات المكتوبة بخط اليد الأنيق فوق الورق الأصفر.

لم يعرف شيئًا مما قرأه، فقط كان يقرأ الكلمات المكتوبة بحروف شبيهة بالإنجليزية، ولم يفهم منها شيئًا

OMINA INCIPIT CUM PTAH

هل يكتب جده بحثًا عن أمنية؟ ومن هي أمنية؟ ومن هو بتاح؟

إلا أن تساؤلاته لم تكتمل، ففي تلك اللحظة بالذات، سطع نور الغرفة عاليًا، ثم ظهر العملاق المخيف على عتبة الباب في مشهد كابوسي لن يفارق خياله أبدًا.

تمامًا كمشهد جده وهو يفحص جدته المسكينة، وهي على فراش المرض، ثم يده وهي تغرس محقنًا في وريدها المتهالك، وعيناه اللتان تشعان بريقًا مخيفًا.

- أنت بتعمل ايه يا دكتور؟

كان يصر على أن ينادوه بالدكتور فقط!! حتى أبناؤه وأحفاده.

- مش هتفهم حاجة دلوقتي .. لكن بكرة هتفهم كل حاجة.

والآن، وبعد أن جاءته الرسالة التي التقط شفرتها فوزا، والتي نقلتها له ابنته الوحيدة، عرف ماذا كان يفعل جده.

وفهم كل شيء.

- هو ده يا أستاذ؟

قطع سؤال مسعد المفاجئ خيالاته وأحلامه وفيلمذكرياته، وكأنها بكرة تالفة، فقال بصوت مبحوح مكتوم:

- وريني كده.

ناوله مسعد مظروفًا بنيًا ضخمًا، وضع في كيس بلاستيكي أسود كأكياس الفاكهة في الأسواق الشعبية، فمد يده وأخرج المظروف الذي كساه التراب.

وعلى المظروف البني المنتفخ، رأى الحروف اللاتينية الكبيرة المنقوشة بخط يد ثقيل واثق.

مرر يده فوق الكتابة التي بهت نصفها على المظروف، ثم رفع عينين مغرورقتين بالدموع نحو مسعد وهو يقول بصوت متهدج:

- هو يا مسعد .. هو .. المرسال طلع صح.

- أيوة يا بيه صح .. ده أنا لقيته في المكان اللي قولتلي عليه في البدروم بالضبط .. زي ما يكون الراجل ده كان متربي في المكان

ده.

ابتسم محمود وهو يتذكر الرسالة التي نقلتها له سمر ليلة أن قابلت محمد حارس في منزله:

- قالك ايه تاني كده؟

- قالي وصلي الرسالة دي لبابا .. واحفظيها ما تكتبهاش.

ثم أغمضت عينيها بتلك الحركة التي تذكره بأمها رحمها الله، وقالت:

- روح ديدوميا .. في مدفن الذكريات .. الحصان بيتحرك لقدام.. وبعدين بتحرك بالجنب .. هيلاقي بيت النمل قدامه.

ابتسم من جديد عندما تذكر كيف ضحك مجلجلًا، بينما تنظر هي له غير مدركة لمعنى الرسالة.

ألا أنه التقطها تمامًا، وفهمها تمامًا، لأنه يعرف هذه الرسالة.

يعرفها وسمعها وترددت في رأسه حتى حفظها وهو صغير .

- يالا بينا يا مسعد .. هنبات في الفندق الجديد عند ميدان الشون.

- طب مش هنقفل باب البيت يا أستاذ؟

نظر محمود نظرة أخيرة من خلف ظهره إلى الباب المفتوح، ثم قال:

- مش فارقة يا مسعد .. مش فارقة.

المشهد السادس

نهار - داخلي

منزل اللواء إبراهيم عبد الفتاح - المعادي

ظهر التاسع والعشرين من مارس عام ألفين وثلاثين

راح جرس الباب يرن بلا انقطاع.

جرس سخيف لحوح، وسيف لا يكره في حياته سوى اللحوحين.

أوقف سيف بث فيديو اليوتيوب بمسرحية مدرسة المشاغبين، ونهض وهو يطلق مجموعة من السباب المقذع في حق من وضع إصبعه على الجرس بلا انقطاع.

مشي سيف إلى الباب بخطواته المتثاقلة من أثر استيقاظ متأخر ومشي طويل لأداء صلاة الجمعة، ثم وجبة دسمة من الفول والبيض والجبن المزدان بالطماطم، ورغيفين من الخبز الأسمر الثقيل.

وعندما وصل إلى الباب، كان الجرس اللحوح قد توقف، ففتح الباب غاضبًا، ليجد ما توقعه.

لا احد أمام الباب.

نظر يمنة ويسرة على البسطة الرطبة نصف المظلمة، ثم هم بالدخول، لكنه تذكر شيئًا ما، فنظر إلى موضع قدميه على عتبة

الباب.

ليجد المظروف الضخم أمامه.

ابتسم ساخرًا وقال:

- تقليدي أوي .. ظرف على عتبة الباب.

ثم تناول المظروف السميك، وراح يتشممه كالكلب البوليسي، ثم تحسسه وتابع.

- مظروف جديد.. ورق سميك وتقيل .. وجواه بطانة عشان تحافظ على الورق.

ثم أغلق الباب، ومشى إلى الغرفة من جديد، ووضع المظروف على الطاولة، ثم وقف في المطبخ يعد كوب قهوة داكنة كثيفة السكر

فقط ليكتشف أن مخزون السكر قد نفد، وأنه منذ غادر المصحة، لم يكن لديه سكر من الأساس!

- خلاص .. نشربها سادة.

أعد القهوة، ثم مشى من جديد نحو الطاولة، ووضع القهوة إلى جواره فوق مسند المقعد الأسيوطي متقشر الخشب، ورشف رشفة

صغيرة وهو يتلمظ، ثم فتح المظروف ومد يده يخرج ما بداخله.

وعلى مقدمة الأوراق، وجد ورقة واحدة كتب عليها بخط اليد

«لا تنس .. فقط عندما يتحرك الفيل الأبيض»

ابتسم ابتسامة جذلة عابثة وقال في هدوء:

- والله زمان يا حارس .. والله زمان.

ثم وضع الأوراق جانبًا، وامسك بجهاز التحكم، ثم أعاد تشغيل المسرحية، وأمامه على الشاشة، راح سعيد صالح يصرخ قائلًا:

«سنتنضم الإذاعة المحلية .. إلى إذاعة البي بي سي»

* * * * *

المشهد السابع

نهار - داخلي

مبنى وزارة الداخلية - القاهرة الجديدة

صباح الثلاثين من أبريل عام ألفين وثلاثين

جلس كريم لبيب خلف مكتبه المؤقت في مبنى وزارة الداخلية، وراح يحتسي قهوته الداكنة الكبيرة، وجهاز التدخين الإلكتروني في يده اليسرى. بينما في يده اليمنى، يمسك بمظروف كبير بني الحجم، لصقت عليه ورقة بيضاء مطبوع عليها بالكمبيوتر XXX

MUTANTE

سحب نفسًا قصيرًا من الجهاز، ثم همس:

- طب التالية دي المقصود بيها المتحولين .. الكلمة متشابهة .. لكن ايه التلاتة إكس دول .. دي شبه العلامات بتاعة القنوات اياها.

ابتسم للخاطر القبيح، لكنه طرد الأفكار من رأسه، وراح يحاول قراءة الأوراق داخل المظروف الضخم.

كلها كتبت بحروف تشبه الحروف الانجليزية، لكنها ليست إنجليزية، فهو لا يفهم إلا كلمات قليلة منها، وبالشبه فقط.

- لازم نستعين بصديق .. عشان نعرف نفك الرموز دي.

ومد يده ناحية الهاتف الداخلي، لكنه سمع صوت دق على الباب، فوضع السماعة، وخبأ المظروف داخل أحد الملفات الحكومية الصفراء، ثم صاح:

- ادخل.

انفتح الباب، ودخلت منه طبيبة شرعية نحيلة وعصبية، تعدل عويناتها الكبيرة أمام أعينها خمسة مرات في الدقيقة.

- والله أنتِ بنت حلال .. أنا كنت لسه هكلمك

- طب اطلبلي قهوة عشان أنا جايالك بخبر مهم.

- لا .. الأخبار المرة دي عندي.

ثم رفع السماعة من جديد وضغط رقمًا داخليًا، وعندما أجابه

أحدهم قال:

- اعملنا كابتشينو من البوفيه يا جمعة .. من غير سكر.

ثم وضع السماعة، ونظر إلى إيرين مبتسمًا، ثم أخرج المظروف البني الضخم، وناولها إياه عبر المكتب الصغير.

- ايه ده؟

- أنا الحقيقة مش عارف .. ومنتظر منك تقوليلي.

عدلت عويناتها من جديد، ونظرت مضيقة عينيها إلى الورقة البيضاء الملصقة على المظروف:

- ده لاتيني.

- توقعت كده يا إيرين .. والكلمة التانية دي يعني متحولين .. بس ايه التلاتة إكس دول .. أكيد مش مقاس هدومهم يعني.

نظرت له في برود، فتنحنح لائمًا نفسه على المزحة السخيفة، ثم نظرت من جديد إلى الكلمات المطبوعة وهي تبتسم:

- وبتعتبر نفسك مثقف وبتاع سينما وكتب .. ومش عارف الأرقام اللاتيني.

- يا سلام .. هو من ضمن الثقافة إني أعرف لاتيني .. هو أنا ملبوس ولا قس كاثوليكي.

ابتسمت هذه المرة، وهي تتذكر مقولات د.أحمد خالد توفيق

رحمه الله عن من قد يعرف اللاتينية، ثم قالت في بساطة:

- الواحد من دول يا سيدي اسمه ديسيم .. يعني الرقم عشرة .. والتلاتة مع بعض اسمهم ترايجنتا.. يعني ...

قاطعها وهو يرفع كلتا كفيه أمام وجهه قائلًا:

- تلاتين .. مش محتاجة يعني .

- طيب بطل إفيهات .. وقولي .. وصلك ازاي الملف ده.

هرش ارنبة انفه، فقالت إيرين لائمة وهي تنظر إلى المظروف:

- لا ما تكنبش عليا .. لو مش هينفع تقولي قول كده ..لكن ما تكدبش يا كريم.

- أنا ما بعرفش أكدب عليك للأسف.

رفعت عينها إليه، فوجدته يحدق فيها بنظرة لم تعرفها في حياتها، لم تختبرها من قبل، ولم تتصور يومًا أن شابًا مثقفًا لطيفًا وسيمًا مثل كريم قد ينظر إليها بها.

ولشدة خجلها، وللمرة الأولى منذ أن قال عنها مدرس العلوم أنها نابغة وهي في الإعدادية، احمر خداها خجلًا.

- طيب ما تكدبش عليا يا كريم وصارحني.

- أنا الحقيقة ما كنتش ناوي أكدب .. أنا كنت بهرش طرف مناخيري عشان تفتكري إني ناوي أكدب.. بنكشك يعني.

نظرت له وقد بدا الغضب يظهر في عينيها، لكنه غضب طفولي يغلفه دلال أنثوي بكر لم يتلوث بعد:

- طب خلاص مش عايزة أعرف يا سيدي.

- بعتهولي صديق قديم .. محامي محترم كنت قابلته من خمس سنين في قضية من القضايا.. وبلغني إن اللي دله على الظرف ده هو اللي طلب منه إنه يسلمهولي أنا شخصيًا.

ثم أشار إلى المظروف وهو ينفث دخان سيجارته الإلكترونية قائلًا:

- وبما إن الملف كله مكتوب باللاتيني .. فأكيد اللي وصلهولي عارف إني هطلب مساعدتك عشان تقري معايا اللي مكتوب فيه .. مش أنتِ تعرفي لاتيني؟

- يعني طشاش .. بخبط .. بس مش لدرجة الإتقان يعني.

- ما أعتقدش يا إيرين إن الموضوع محتاج إتقان .. وإلا ما كانش الصديق القديم ده بعت الملف ليا.. أقصد لينا.

ثم ابتسم ابتسامة واسعة، فشعرت إيرين بقلبها يطلب المغفرة منها لأنه قرر أن يخفق.

متى أدركت أن ابتسامة كريم لبيب ساحرة لهذه الدرجة؟

ولتتغلب على قلبها المتمرد، عدلت عويناتها من جديد،وأخرجت الأوراق، وراحت تقرأ.

وبعد خمس دقائق مرت بدون أي صوت سوى رشفات القهوة،

رفعت إيرين عينيها من فوق الأوراق وقالت:

- مش معقول .. أنا مش مصدقة اللي بقراه.

- في ايه اللي بتقريه؟؟

بدأ الاهتمام على وجه كريم، لكن إيرين رفعت الأوراق والمظروف، ووضعتهم على المكتب أمامه وهي تقول:

- فاكر البحث إياه بتاع المتحولين التلاتين؟

- آه طبعًا .. بس البحث ده كان ناقص صفحات كتير زي ما قولتيلي.

- لكن ده حاجة سابقاه شويتين تلاتة .. حاجة ممكن تفتحلنا سكك كتير في القضية الغريبة دي.

- قضية .. ياااه .. ده أنا كنت قربت أنساها القضية دي.

تجاهلت ملحوظته اليائسة، وأشارت بطرف أصبعها ذي الظفر القصير ثم قالت:

- البحث ده صحيح جاي متصور أو مطبوع على ورق جديد.. لكن الطريقة اللي متصاغة بيها اللغة اللاتينية قديمة شوية .. تقدر تقول

من التمانينات .. أو أوائل التسعينات.

- تمانينات وتسعينات ما يبقاش قديم يا إيرين .. ده أواخر القرن العشرين.

خبطت على الورق بأطراف أصابعها وقالت:

- تمانينات وتسعينات القرن التسعتاشر يا كريم ..وحسب الكلام اللي مكتوب .. اللي كتب الكلام ده مش أي حد .. اللي كتب الكلام ده فريق بحثي كان مهتم جدًا بالظواهر الخارقة والكيانات القديمة يتزعمه شخصية مهمة جدًا.

- ومين بقى الشخصية دي .. إسحق نيوتين؟

- إسحق نيوتن مات سنة ١٧٢٧ يا مثقف يا جامعي.

- اومال مين إيرين؟

رفعت ورقة من وسط الأوراق كتب عليها بحروف انجليزية كبيرة اسم قائد هذا الفريق، الاسم الذي يعرفه الكثيرون لأنه ارتبط بشخصية هامة للغاية.

وبينما يقرأ كريم الاسم، قالت إيرين في هدوء:

- اللي كتب الكلام ده بخط ايده .. سير آرثر كونان دويل.

* * * * *

المشهد الثامن

نهار - داخلي

مكتب رئيس الوزراء - العاصمة الجديدة

صباح الرابع والعشرين من مايو عام ألفين وثلاثين

جلس اللواء توفيق إسماعيل على المقعد الجلدي الوثير بينما يجلس قبالته مايكل سميث في ردائه الأسود، وعيناه الرماديتان تراقبان وجه توفيق المكفهر.

بينما رئيس الوزراء عاكف على قراءة الملف المنتفخ أمامه.

وبعد لحظات من الصمت، والسجائر التي انتشر دخانها حتى كادت ذراته تحل محل الأكسجين في الهواء، قال رئيس الوزراء:

- أنت اطلعت على الكلام اللي في الملف ده يا توفيق؟

لم يتلق إجابة، فرفع عينيه ليجد توفيق شاردًا في وجه مايكل سميث.

- توفيق .. أنت سامعني يا معالي الوزير؟

- ها .. حضرتك كنت بتسألني عن حاجة؟

- بسألك عن حاجة .. ده أنا هسألك عن حاجات وحاجات يا توفيق .. ده أنا مسجل كل حاجة قولتها يا معالي الوزير في مكالمتك معايا على الخط المتأمن من أكتر من شهر .. وساعتها قولتلي إنها

ملحوظات تافهة ولا ترقى لدرجة القرائن .. وإننا لازم نحمي الضابط بتاعنا وصورة الوزارة وكل الهطل اللي أنت كنت بتبرر بيه فشلك.

- يا فندم بس....

ضرب رئيس الوزراء سطح مكتبه مقاطعًا توفيق في غضب، ثم سحب نفسًا عميقًا من سيجارته:

- معالي رئيس الوزراء ممكن يسمح لي أقول ملحوظة؟

نظر رئيس الوزراء في هدوء إلى مايكل سميث، ثم قال:

- اتفضل يا مستر سميث أكيد ..

ثم نظر إلى توفيق نظرة جانبية وهو يتابع:

- على الأقل أنا شوفت من شغلك نتيجة.

كاد توفيق ينهض من الكرسي ويلقي بنفسه من نافذة الطابق الأربعين، حيث يقع مكتب رئيس الوزراء، لكنه تذكر زوجته وابنه الذي أوشك على التخرج من الجامعة، فجلس ملتصقًا بمقعده وأذناه تحمران خجلًا.

- أنا متفهم ليه مستر توفيق مكانش ماشي ورا الموضوع بالاهتمام اللي أنا كنت موليه للموضوع. يمكن عشان هو عنده مبرراته وقناعاته اللي ما تخليهوش يصدق إن ضابط شرطة ممكن يكون عمل كده.

ثم نظر إلى توفيق من جديد وقال:

- بس أحب اقولك يا معالي الوزير إن الضباط بني آدمزينا .. ممكن يغلطوا ويكذبوا ويقتلوا عادي.

- الحقيقة أنت مفيش بني آدم زيك يا سميث.

أجابه توفيق ساخرًا، فتنحنح رئيس الوزراء بصوت مرتفع، ثم نظر إلى سميث من جديد:

- وتقترح ايه يا مستر سميث؟؟

عقد سميث يديه أمامه وقال:

- الإجراءات المعتادة يا معالي الرئيس .. القبض على المشتبه فيه .. والتحقيق معاه في النيابة والشرطة .. وطبعًا التحقيقات لازم تكون من فريق تحقيق مصري .. أنا مش هتدخل فيها نهائي.

ثم قال بصوت مبحوح كريه، شعر معه توفيق برغبة لإطفاء سيجارته المشتعلة في حنجرة سميث:

- عشان صورة الوزارة وهيبة الحكومة المصرية .. وأنا هكتفي بس بالمراقبة من بعيد.

- وأنا موافق على الإجراءات دي.

ثم نظر رئيس الوزراء إلى توفيق وقال:

- مستني ايه يا معالي الوزير .. شوف شغلك.

نهض توفيق من فوق المقعد، وزرر سترته وهو يقول في صرامة:

- أوامر معاليك .. هطلع على النيابة حالًا ومعايا الملف .. واستصدر أمر ضبط وإحضار.

- شوف إجراءاتك المعتادة يا معالي الوزير.

مشى توفيق بخطوات متثاقلة نحو الباب، ثم فتحه وهو يرمي سميث بنظرة جانبية أخيرة، حملت كل مقته وكراهيته له، ثم أغلق الباب خلفه في هدوء.

بينما تنحنح سميث وقال في هدوء ثعلبي:

- بالنسبة للسوشيال ميديا والصحافة والمواقع .. أنا عندي فكرة يا معالي رئيس الوزراء.

- فكرة ايه؟؟ أحب أسمعها.

قال سميث وهو يضم ساقيه قليلًا ويضع كفيه المعقودتين فوقهما:

- الصراحة يا معاليك .. الصراحة التامة .. بدون ما نخبي أي حاجة .. وأنا عندي صحفية شاطرة في موقع من المواقع ممكن تغطي الموضوع بشكل متكامل ومن غير ما تخبي أي حاجة .. صحيح هي كانت قلقانة تاخد أي خطوة .. لكن لو زقينا عليها رئيس التحرير بتاعها .. هتتحرك فورًا.

- ومين رئيس التحرير بتاعها؟

نظر ناحية رئيس الوزراء وقال بابتسامة ساخرة:

- اسمه ماهر .. ماهر الرفاعي.

- يا ساتر .. الراجل ده سئيل وسخيف وأنا ما بطيقهوش .. بس معاك حق .. هو صياد فرص.. وعمره ما هيفوت فرصة زي دي

ثم وضع عوينات القراءة أمام عينيه، وأزاح أوراق القضية من أمامه، وراح يقرأ في أوراق أخرى، وكأنما حول اهتمامه بكبسة زر!

- اعمل اللازم مستر سميث .. بالتنسيق مع توفيق والجهات المعنية.

- بس يا معالي الر..

- شرفت يا مستر سميث.

وراح يوقع بعض الأوراق، بينما نهض مايكل سميث، وعلى وجهه تعبير بارد وابتسامة صفراء باهتة، ثم مس طرف قبعته أمام رئيس الوزراء المتشاغل، وخطا بخطواته الواسعة ناحية الباب.

وعلى باب المكتب، وقبل أن يغلقه خلفه، حدق في لوحة زيتية، تحتل مساحة كبيرة من حائط مكتب الوزير، رسم عليها وجه إنسان صبغ باللون الأخضر، وعلى رأسه تاج أبيض شبيه بالبيضة.

فابتسم سميث ابتسامة عريضة ماكرة.

ثم أغلق الباب خلفه في هدوء.

* * * * *

المشهد التاسع

نهار - داخلي

منزل العقيد محمد حارس

صباح الخامس والعشرين من مايو عام ألفين وثلاثين

كان محمد حارس يتقلب في فراشه كالمحموم هذه المرة.

البئر العميقة قد جفت، وهناك في قلب البئر يقف هو فوق الركام.

وطائر أبو منجل، فوق جسد إنسان مشدود العضلات، يضرب بمنقاره الصخر في جنون.

ومن خلفه، سمع الصوت الذي لم يزره في أحلامه قط.

لكنه شعر كأنه يحفظه عن ظهر قلب.

- حانت اللحظة أيها الأخير .. ستسقط في البئر بلا حول ولا قوة .. وساعتها سأدمر البئر بلا عودة.

ثم يتحول الصوت ويبح وينتشر في أذنه كفحيح ألف حية.

- بعد أن أمحو الأثر .. أمحوه بلا عودة.

يحاول الالتفات فلا يستطيع، وكأن يدين قويتين تمسكان بجسده فتمنعه من الالتفات.

لكن نعامة سوداء تقف على مرمى بصره، تصرخ بصوت رفيع.

- قاوم يا حارس .. قاوم ولا تستسلم.

فيجيبها الصوت المبحوح الخارج من خلفه:

- لا فائدة من المقاومة يا حاملة الميزان.

وطائر أبي منجل يتوقف عن النقر وينظر له في سكون، ثم يتردد الصوت:

- قاوم أيها الأخير .. وافعل ما عليك فعله.

لكنه لا يقوى على المقاومة.

لا يقوى على الالتفاف، لا يقوى على التملص من القبضتين اللتين تمسكان بكتفه.

ويسمع قرقرة الحدأة فوق البئر.

قرقرة اقرب إلى الصراخ والعويل.

لا يدري لماذا شعر بأنه هو المختص بالعويل.

بينما الصوت الثعباني يبث السم في عقله:

- لا فائدة من المقاومة أيها الملكي .. لا فائدة من كل ما فعلته .. سأدمر البئر وأمحو الأثر.

- افعل ما عليك فعله.

والحدأة تواصل العويل.

وطائر أبي منجل ينقر بمنقاره في قلبه.

- استيقظ أيها المبارك .. فما زال أمامك الكثير

وفي الأفق المظلم داخل البئر اللانهائية، يرى وجه سيف يبتسم.

ويرى وجه محمود غنيم عابسًا مهمومًا.

وطائر أبي منجل يدون شيئًا في دفتر كبير يمتد إلى ما لا نهاية.

- لا تقاوم .. فقد انتهى دورك

ومن بين الأصوات المضطربة في حلمه، جاءه صوت منهك عجوز ينادي بلا انقطاع:

- محمد .. اصحى يا محمد.

حاول أن يتجاهل الصوت، لكن البئر راحت تهتز:

- محمد .. اصحى يا ابني.

وراحت الأحجار تتساقط فوق رأسه.

وهو يصرخ.

يصرخ.

يصرخ.

ثم أفاق وكأنه لم يكن هناك

وأمام عينيه المنهكتين، وجسده الغارق في العرق البارد، رأى وجه

سعاد المنتفخ بالتجاعيد تردد:

- اصحى يا محمد .. اصحى.

هرش فروة رأسه في عنف، ثم وضع يده على قلبه ليشعر وكأن منقار الطائر ما يزال ينغز قلبه:

- في ايه يا سعاد .. في ايه؟

نظرت له سعاد نظرة مطولة وقالت هامسة:

- في اتنين ظباط شكلهم مخيف واقفين برة عايزينك .. والموضوع شكله ما يطمنش.

- ما يطمنش ازاي يعني؟

- بيقولوا إن معاهم أمر نيابة بالقبض عليك.

ثم صمتت قليلا وهي تنظر خلفها، وأمام عينيه الجاحظتين قالت:

- هيقبضوا عليك ليه يا محمد .. أنت عملت ايه يا ابني؟

وكأنما عاد للبئر.

راح صوت سعاد يتردد..

ويتردد..

ويتردد في رأسه بلا انقطاع.

كأنه قادم من قاع البئر نفسها!

المشهد العاشر

نهار – خارجي

مدينة منف

التاسع من بؤونة عام ثلاثمائة واثنان وأربعون قبل الميلاد

- ابتعدوا تسلموا.

تحوتي يردد الكلمات، ويكررها بلا توقف، بينما البرابرة ذوو الذقون المضفرة، والعيون كثيفة الرموش، التي تعلوها حواجب ثقيلة تمنحها مظهرًا مرعبًا فظا، يشهرون رماحهم ذات الرؤوس المعدنية المثلثة.

البرابرة المخربون، مرتزقة أرخشير الذين يدعون التوحيد وهم يحرقون ويحطمون بيوت الرب الواحد.

والآن، يأتون إلى منزل بتاح، عازمين على إنهاء كل شيء.

- ابتعدوا تسلموا ..

يقف تحوتي منتصبًا قويًا، تبرز عروقه الصلبة، وتتوتر عضلاته الصغيرة القوية، وعلى رأسه قناعه ذو المنقار الحاد، وحول جسده يسطع ذلك الضوء الرمادي المشع.

- لا فائدة يا بني .. سوف يتكاثر عليك البرابرة .. ولن تقدر عليهم بمفردك.

تهمس إست المقدسة بالكلمات في رأسها، فتصل الكلمات إلى عقل تحوتي المتقدم على الجميع، والى رأس ماعت الواقفة فوق سطح بيت المبارك بتاح، وإلى رأسي، وأنا أقف فوق تلك الصخرة وفي يدي عصاي ذات الرأسين.

- علينا أن نحمي بئر بتاح .. فبدونه نشيخ ونهلك .. وتهلك كيمت بلا أبناء كيمت.

كدت أقول لإست الفاضلة أن كيمت هلكت يوم راح إخوتنا يدّعون الألوهية والقدسية، ثم هربوا إلى الجنوب تاركين بيت بتاح المبارك، تابع رسول الرب، عرضة لبطش البرابرة القادمين من خلف النهر المعكوس.

- ابتعدوا تسلموا.

ما زال تحوتي يشع نورًا رماديًا، وعيناه الواسعتان كاملتا السواد تشعان بريقًا غاضبًا.

ومن خلف الرماح، والخيل قصيرة الأرجل كثيفة الشعر والسيوف المستطيلة الفضية، ارتفع صوت روماس الأخميني يصيح:

- أتظن أننا سنخاف من رأس الطائر تلك أيها العجوز .. ابتعد وارحل كما رحل سابقوك .. أو تعاون كما تعاون عمك القادم من الغرب؟

إذن فهذا ما حدث.

كان لا بد أن تفهم يا أنبو، وان تدرك أن الوغد القادم من الغرب، الملعون قاتل أخيه وغاصب ملكه، راعي الشياطين ومربي الأفاعي ومثير رياح الصحراء، الملعون المارق ست، هو من باع البرابرة سر بئر بتاح.

وهو الآن من يقف خلف صفوف البرابرة، يبتسم ابتسامته الثعلبية الساخرة:

- أنت تعرف يا ابن أخي .. لا أخلاق في الحرب .. لا أخلاق في الحرب.

يتردد صوته الكريه الخبيث في جنبات عقلي، فيثير تقززي.

ولك أن تتخيل ما يمكن أن يجعل قارئ الموتى يتقزز!!

- تبيع أبناء إخوتك وأبناء عمك .. وتكلمني عن الحرب والأخلاق .. وماذا سيمنحونك يا شيطان الغرب.. وأنت ستفقد الخلود عندما يدمرون بيت بتاح .. ويردمون البئر.

- أنت تعرف .. وتحوتي يعرف .. وتلك الحدأة العجوز تعرف.

ثم انطلقت ضحكته الخبيثة المكتومة تدوي في أذني كصليل خيول البرابرة. بينما تصرخ ماعت في غضب:

- أين جيش ذلك المأفون نخت أنبو .. هل هرب هو الآخر كما هرب الخونة والجبناء؟

وما هو جيش نخت أنبو؟ جيش من المرتزقة القادمين من الشمال،

يقاتلون من أجل الذهب والفضة، فماذا تنتظر منهم؟

لكننا لا نرحل، لا نرحل، نحن على عهد المبارك الراقد جوار البئر البئر التي..

- أنبو .. اسمعني يا صديقي.

أظلمت الدنيا، ثم وجدت نفسي سابحًا بلا حراك في فضاء أزرق لامع، تملأه نجوم صفراء لامعة.

وفي الأفق، يجلس تحوتي على الهواء.

كيف يجلس أحد على الهواء؟

ربما لو رأيتم تحوتي، لعرفتم.

- ماذا تفعل يا أخي .. لماذا نحن هنا؟

- اسمع جيدًا ما أقوله لك يا أنبو.

تدور النجوم الصفراء من حولي، وتدور حول رأسي الذي يدور حول نفسه.

- ماذا تفعل يا تحوتي بحق السماء؟ لماذا تستخدم سحرك الآن معي؟

- رشفة البئر .. ستحصل على رشفة البئر الآن .. ثم ستأتي كل ألف عام ..

- لن يبقى أحد منا لمائة عام يا أخي.. سيدمر هؤلاء البرابرة بيت

بتاح .. وسيردمون البئر .. وسيقتلوننا بلا رحمة.

يبتسم تحوتي، ثم يشع نوره الرمادي الخافت، ثم يقول مغمضًا عينيه الواسعتين:

- سترحل يا ابن أوزير .. سترحل إلى حيث لا يدركك البرابرة .. وإلى حيث لا يدركك الملعون القادم من الغرب .. ثم تعود عندما يحين وقت العودة.

- لن أرحل يا تحوتي .. لن أرحل ولن أترك أرضي وأرض أبي ..

صوت صقر محلق، صقر أعرفه جيدًا يردد في مهابة:

- أنت لا تفهم يا أخي.

حون، حور الذي ظننته هرب موليا الأدبار، أراه الآن في خيالي، لا ليس خيالًا بل حلمًا، لا ليس حلمًا بل....

- لا تجهد عقلك في المحاولة يا ابن عمي.

- ماذا تفعل بي يا تحوتي .. بل ماذا ستفعل بي يا تحوتي؟

- سأنفذ وصية المبارك أوزير.

أغمض عيني محاولًا الخروج من هذا الأثير أحاول أن اهرب، أن أحرر ساقي وذراعي، لكن لا شيء يتحرك.

طائر يقف على ساق واحدة، ينظر لي بعينيه عديمتي البياض.

بينما الصوت المراهق الفتي يصرخ:

- اذهب يا أنبو .. اذهب كما أوصى أبي.

- وبماذا أوصى سيدي؟

- بأن ترحل عندما يحين الوقت .. لأنك ستكون الأخير .. الأخير الذي يتم كل شيء.

أحاول الصراخ لكني لا أسمع إلا صوت الصمت، وعيناي لا تبصران إلا عيون الطير الواقف أمامي، وصقر صغير فتي يحوم حول رأسي.

بينما حدأة بيضاء تحط فوق كتفي، ونعامة كالحة السواد تحط على الكتف الثاني.

كيف تكون الحدأة بيضاء؟؟

بل كيف تحط النعامة على كتفي؟!

- ارحل يا بني .. ارحل حتى يحين الوقت للعودة.

- لا .. لا يا سيدتي المباركة .. لن أترك أرضي وأرض بتاح وأرض أوزير .. لن ...

- استمع لما أقوله لك يا فتى.

تصرخ الحدأة في غضب، وتغرز منقارها في طرف أذني، فأصرخ بلا صوت.

- اذهب يا أنبو .. استمع لما أقوله أنا .. تحوتي ابن رع ..

ثم راح صوته يهدر في الفراغ الأزرق اللامع:

- ستذهب الآن ومعك رشفات البن وستأتي بعد أن تنتهي لما بدأت منه .. لتتم الأمر. ثم تدفن إلى جوار أبيك أوزير ..

الحدأة البيضاء تهمس في أذني بحنان:

- واحذر يا بني .. احذر من الشيطان اللعين .. ومن رياحه القادمة من الغرب .. احذر منه فإنه سيعود .. سيعود كما ستعود أنت.

ثم صرخت الحدأة، ونعق الطير الأبيض، وصرخت النعامة السوداء، وحلق الصقر الشاب مسرعًا.

وأنا أصرخ رافضًا، ساخطًا، حانقًا، غاضبًا.

والطير الأبيض يمسكني من رقبتي، ويحلق بي مبتعدًا في السماء الزرقاء اللامعة.

- لن أرحل .. حررني يا تحوتي .. حررني يا تحوتي .. لن أرحل .. لن أرحل..

ورحت أصرخ .. أصرخ .. أصرخ.

بينما ترفعني الرياح وتتلقفني الطيور لبعضها البعض.

وخلف الرماح ذات الرؤوس المثلثة اللامعة، والسيوف الفضية، وصهيل الخيل المشعرة، وأمام بيت بتاح.

يصرخ رومامس:

- اهجموا يا فرسان أردشير.

وفي هذه اللحظة، وأمام الرماح ذات الرؤوس المثلثة،والعيون المندهشة الجاحظة، والقلوب التي راحت ترتعش خائفة.

ارتفع جسد تحوتي محلقا في الهواء.

ارتفع متألقًا في ضوءه الرمادي، ويداه الرفيعتان منتصبتان إلى جوار جسده، والوهج في وجهه يعمي الأبصار.

وأمام العيون الخائفة، والقلوب المرتعشة.

ظهر الشيطان القادم من الغرب.

وحلق بجسده في الهواء محمولًا برياحه السامة المترية، وهو يصيح في وجه تحوتي:

- لا تحاول يا ابن أخي .. قضي الأمر.

لكن تحوتي يغمض عينه، ويرفع يديه في الهواء، ويتألق الوهج حوله، وصوته الحاد يتردد في جنبات الكون كله.

فلتحل لعنة الرب على الشياطين والخونة ..

ثم يفتح عينيه ويصرخ غاضبا:

- الآن يا حور.

الصقر الأعور الغاضب يصرخ، فتهتز الجبال، وترتج الأرض، ويلمع ألف ألف برق في جنبات السماء.

تمامًا كما فعل عندما عاد لينتقم لأبيه المبارك من عمه الخائن.

العم الذي يصرخ غاضبًا:

- اردموا البئر اللعينة .. لا تتركوا منها قطرة واحدة.

ويصيح الصقر الاعور ثم يهجم بلا رحمة.

بينما صرخت إمست المباركة.

- لم تبتعدوا .. فلن تسلموا .. فلتحل عليكم لعنة الرب ..

ثم راحت تدمدم بكلمات تتردد في جنبات السماء كترانيم الشعراء.

- مبارك أنت يا ابن أوزير .. مبارك أنت يا ابن امك .. فلتضرب ولتضرب بقوة .. لتحل لعنة الرب على شياطين الصحراء.

ثم صرخت الحدأة العجوز

وقعقع الصقر الفتي.

وأطلقت النعامة السوداء زمارها الغاضب.

وتوهج تحوتي.

توهج كألف شمس مشرقة غاضبة.

- بقوة الرب الجبار .. اضرب أعداءك فلا تترك منهم أحدًا.

ثم انتهى كل شيء

انتهى إلى الأبد

يتبع......